الـ (مرزح) في أوغاريت وغيرها

للأستاذ مارفين هـ. بوب

تعريب وتلخيص: بشير زهدي

إن المراجع الاوغاريتية لـ (مرزح) جددت الاهتمام بهذة المؤسسة الاجتماعية القديمة التي تظهر في مختلف الأزمنة والأمكنة.

فكلمة (مرزح) توجد مرتين في التوراة – (عاموس ٦:٧) و (ارميا ١٦:٥) – وبذلك يمكن الاستنتاج بأنها موضوع مناسبة حيث يؤكل ويشرب في جو من الفرح أو الحزن. وان سفر (ارميا ١٦) يظهر المظهر الجنائزي لـ (مرزح) عندما يتنبأ النبي كارثة مميتة يعاني فيها شعبه قطع السيف، والجوع والأمراض، فيعلن بأنه من غير المفيد الزواج وانجاب الأولاد والذهاب الى (دار مرزح) وبكاء الموتى، واقتسام الخبز وشرب كأس التعازي بالأبوين المتوفين. وان الشعر ومايليه يدل على المكان الذي يؤكل ويشرب فيه ويعرف بعبارة أخرى (بيت ميشتة) أي (دار الوليمة) مع ذكر الفرح وأغاني الزوجين. فليس هناك مايوحي بخلاف رئيسي بين (بيت مرزح) و (دار الوليمة). ويمكن مراجعة شرحي لـ (الانشاد) كبرهان على ان هاتين العبارتين هما تقريباً مرادفان لـ (دار الخمر) المذكورة في (الانشاد – ٢:٤) حيث يتضمن نشاطها بوضوح الحب والخمر.

وقبل الاهتمام بالمراجع الأخرى تجدر الاشارة الى ماورد في (سفر العدد – ٢٥) عندما توصف الخطيئة الشهيرة لـ (شيتيم) فيتجمع الاسرائيليون حول (بعل بيور) ويسهمون في الأضحيات والأعياد المشتملة على وضع يسمح بطعن رجل وامرأة بسيف واحد دون ان يشار الى اسم اللعبة التي يتم فصلها أمام عائلة الرجل وكل الهيئة عندما يبكون على باب خيمة الاجتماع وعلاوة على ذلك يبين بأن المكان الذي يوجد فيه الرجل والمرأة عندما يطعنان هو القبة أي المبنى المسقوف بقبة وان المعلومات الحاسمة عن مناسبة (بعل بيور) هي من (المزامير) – ١٠٦: ٢٨) – ارتبطوا ببعل بيور واكلوا من اضحيات الموتى – فهنا نعلم ماعتبره راوي القصة البدائية غير مفيد أن يذكر بأن هذه الولائم كانت جنائزية. كما أن الشارح المدرسي لهذه القصة أضاف معلومات أخرى بتفسير هذه الأضحيات الى آلهة الموآبيين وكأنها (مرزحية) وتؤكد خارطة (مأدبا) هذه النتيجة بملاحظة مكان حادث (بيل بيور) في (بيت مرزياح) وأيضاً في (ميومة). وقد لاحظ بحق السيد (جوناس س. جرينفيلد) بأن سفر العدد لايقول شيئاً كبيراً

عن موضوع حقيقة طبيعة (مرزياح) . ولكن ماذهب اليه (جرينفيلد) وبالغت في طبيعته الفجورية لهذه المؤسسة الاجتماعية لايصمد فيما اذا كانت عملية (بعل بيور) (مرزياح) وفي نفس الوقت (وليمة جنائزية) . وان نقد الأنبياء ورجال الدين من الربيين وآباء الكنيسة ولاسيما مواعظ (اوغسطين) ضد مقدمي التقدمات بسبب مايدعونه من أعياد الخمور في المقابر لايقبل المبالغة . فالتهم المتكررة عبر العصور أشارت الى الثمل بادمان الخمور والسفاح وتضحية الأطفال وتناول لحوم البشر . وفي نقده لشرحي (الانشاد) نفى (جاك م. ساسون) وجود برهان واحد مباشر يدعم مافهمته عن (المرزياح) وعلاقته بـ (الانشاد). وتطلب (ساسون) كبرهان مباشر وجود نص اداري مؤرخ ومختوم يحصي ويشرح كل مظهر من هذه المناسبة (من تموين وفاعلين وأعمالهم) أن مثل هذة الوثيقة لها قليل من الحظ بالعثور عليها وبانتظارها فانه لايهمل ولا يستبعد كثير من البداهة غير المباشرة والسديدة . وان علاقة التنقيبات الاسرائيلية في شمال سيناء تقدم معطيات موحية اعتبرها رشيدة لهذه القضية . ففي (الكونتلات) اكتشف مبنى متميز بتجهيزات وليمة ـ قاعة وسطى ومقاعد وأوعية تخزين وأدوات طعام وشراب ، ويُحيط بالقاعة مخازن ومكاتب وأفران . يشك قليلا بأن هذا المبنى (دار وليمة) حيث تجري ولائم العبادة وتقام الطقوس التي لم تلق موافقة المصلحين من (الحركة اليهوية) . وان عبارات التبريك تبتهل الى (ايل) و (بعل) مثل (يهوه) . وعلى وعاء كبير يميز مشهد شخصين يدكل منهما فوق الاخرى . وفوق رأسيهما كتابة عبرية من القرن التاسع تفيد (يهوه وعشتارت). والى الجانب امرأة جالسة تعزف على آلة(اللير) ربما كانت (عنات) . وهناك مشهد آخر على الفخار يمثل شجرة مقدسة ذات جذع نخلة وأزهار اللوتس وفي جانبيها غزالان مما يذكرنا باحدى صور (الانشاد) . وعند أسفل شجرة الحياة هذه (سبعٌ) وفي الأعلى (خنزير) . وهناك مشهد أكثر ايحاء أيضاً يتألف من ثلاثة أشخاص واقفين رافعي اليد في وضع ابتهال وأمامهم زوجان . فالشخص الأكبر يمسك يداً تحت رأس شريكه والأخرى حول قامته وهذا مايذكرنا من جديد بالكلام المأثور في(الانشاد) (٢ : ٦ ، ٨ : ٣) . وهكذا فانه وان لم يكن مصطلح (مرزح) مؤكداً في أية كتابة مكتشفة فانه ليست فرضية مبالغ فيها تعتبر (الصالة ذات المقاعد) من هذا المبنى المقدس بمثابة القسم المركزي من بيت (مرزياح) .

وهنا ليس لدينا الوقت ولا الحاجة لمحاولة معالجة كل مراجع (مرزع = مرزح) في مجموعة الكتابات الاوغاريتية . ومع ذلك فهناك بعض الملاحظات العامة الضرورية . فان اشتراكات (مرزح) ـ بالجنائزيات ومناسبات الخصب ـ في الاكتشاف الأصلي لنصوص (ربوم) تنطبق على ظروف علاقاتها بنص (دانيل ـ اقهات) . اذ ان (ربوم)ـ المدعويين من قبل (دانيل) للطعام والشراب في (مرزع ـ هم أرواح الأجداد . فليس واضحاً فيما اذا كان ذلك يسبق ولادة (ابن دانيل) أو يتبع وفاته . ولكن هذا التفصيل ليس له أهمية كبيرة بالنسبة لما يهمنا .

فالـ (ربوم) كمدعويين الى (مرزع - مرزح) يقيمون الطابع الجنائزي للمائدة . وان تمثيلهم في طريقهم الى ربط الخيول وصعود العربات لايشكل برهاناً بأنهم يشكلون دليل محاربين فانين ذوي عربات . فان (ديوسكوري) الأبطال الالهيين مصورون على حصان في طريقهم الى (تيوكسينيا) .

ان معظم الوثائق التي تعالج بوضوح (مرزح) تتحدث عن استهلاك الخمر والطعام حتى الثمالة ، وفي هذا النص فان أبا الآلهة بصفته ضيف المائدة الالهية فانه يتجاوز الثمالة ويشرب حتى الهذيان والانهيار والاغماء . وهذا يثير قضية اشتقاق كلمة (مرزح) . ان محاولة اقامة مصدر (رزح) الذي يفيد نوعاً ما معنى (صرخ) القائم على مصدر مشكوك فيه من التلمون هو بدون جدوى . ومع ذلك فان فعل (رزح) الذي يفيد (سقط الى الأرض) وهو السلوك الصحيح لـ (إيل) في النص الذي أتينا على ذكره هو مؤكد جيداً في العربية .

وبموجب هذه البديهة فان المعنى الأساسي لـ (مرزح) يكون المكان الذي يوقع فيه وهذا ماينطبق مع التفسير العادي لعبارة (مرزح) في (عاموس ٦ : ٧) حيث المعنى المناسب للكلمة باللغة العبرية والعربية هو (تمرغ) . وفي (اشعيا) ٢٨ فان وصف (ترنح) الناس والكهنة والأنبياء يميز في كل الاحتمالات (مرزياح) رغم عدم استعمال هذه الكلمة هنا .

ولا توجد بعد مراجع صريحة أو مضمرة خاصة بالنشاط الجنسي في نصوص تتعلق بـ (مرزياح) وان البرهان غير المباشر الأكثر اقناعاً بوجود هذا العنصر هو المناخ المذكور أعلاه بأن قضية (بعل بيور) معتبرة كأضحية للموتى شأنها شأن (مرزح) • وان هذين المصطلحين مترادفان بشكل رئيسي . وهذه الصلة تسمح لنا بتوفيق مختلف التفاصيل المشتركة مع أحدهما أو مع الآخر رغم عدم وجود نص يتضمن لفظ (مرزح) الذي يذكر كل النشاطات التي يتطلبها - من حزن وتهليل وثمالة ، وطقوس جنسية ومقدسة - بما في ذلك السفاح -و تضحية الأطفال .. وتناول اللحم البشري والدم . كل هذا يشكل قسماً من الاتهامات التي ذكرها (ترتوليان) و (مينوسيوس فيلكس) ضد مسيحيي عصرهما . وان دور الكلب وطريقتهم في اطفاء الأنوار موحية وان الرجوع الى قطع اللحم لأجل الكلب في النص الاوغاريتي المتعلق بـ (مرزح) مثير جداً في هذا المضمار كشأن شاهد الوليمة الجنائزية في التقاليد الهلنستية حيث يوجد كاب تحت السرير ترك له تناول قطعة لحم . وان مواعظ (اوغسطين) ضد مقدمي التقدمات تدين الشراهة الثملة وقذارة اللحم اللتين تلحقان العار بموائدهم الجنائزية وتوحي بأنه كان يهيأ أكثر مما يؤكل ويشرب في المقابر .

وكان على الطريق الصحيح عندما افترض (جوناس جرينفلد) توازناً بين (مرزياح) و (كيشبو) الرافدي . فالمدعوون الى المائدتين هم الأجداد — أرواح الموتى — وفي اللغة الاوغاريتية (ربوم) وفي اللغة الأكادية

(إتيممو) . وقلما يستطاع المبالغة بالمعنى الاجتماعي والديني لهذه الموائد . وكان يخصص لاقامتها كثير من الوقت والمال كما تدل على ذلك الدراسة المفصلة التي قام بها (ج.ت.ميليك) . وان عدم التعرف على الطبيعة الأساسية لـ (مرزح) كوليمة للموتى والأحياء قد حال دون فهم هذه المؤسسة الواجب مقارنتها باحتفالات مشابهة في مختلف الثقافات . وعندما نعترف بأن (مرزح) مائدة جنائزية فان معطيات مقارنة كثيرة تصبح تحت تصرفنا وتقدم لنا مايماثلها في كل عنصر ومظهر احتفالي .